PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(5): 1000-1011
ISSN:1553-6939

Dystopia Of Pre-Islamic Poetic Text, Lamiyat Al-Shanfara" As An Example

MESSAS Djemaa
University of Khenchela ABBAS LAGHROUR (Algeria), E-mail: messas.djemaa@univ-khenchela.dz

BELHIS Chaima
University of Khenchela ABBAS LAGHROUR (Algeria), The Algerian Facilitated Encyclopedia Laboratory (University of Batna1), E-mail: chaima.belhis@univ-khenchela.dz

Received: 05/2024, Published: 06/2024

Abstract:

The article discusses the pre-Islamic poem "Lamiyat al-Shanfara" as an example of dystopian poetry. The poet uses contrasting pairs to create a world where the self can assert its opposing authority and its future movement. This is an attempt to create a governing system, with the means devised by the poet being "tribal chaos" or "dystopia."

The article addresses several key questions, such as how can destruction or "dystopia" become a means to build what is virtuous? To what extent did the contrasting pairs contribute to the poet's expression of his absolute rejection of his bitter reality? The answers to these questions will be found within the pages of this article.

Keywords: Dystopia; Pre-Islamic poetry; Al-Shanfara: Lamiyat al-Arab.

ديستوبيا النص الشعري الجاهلي، لامية الشنفرى أنموذجا

جمعة مصاص

جامعة عباس لغرور خنشلة (الجزائر)، البريد الالكتروني: messas.djemaa@univ-khenchela.dz

شيماء بلهيس

جامعة عباس لغرور خنشلة (الجزائر)، مختبر الموسوعة الجزائرية الميسرة (جامعة باتنة 1، الجزائر)، البريد الالكتروني: chaima.belhis@univ-khenchela.dz

الملخص:

ديستوبيا النّص الشّعري الجاهلي "لامية الشنفرى نموذجا" هو مقال يحمل في طيّاته قيمة كبرى اتّخذها الشّاعر لصنع عالم تستطيع فيه الذّات أن تخلق سلطتها المضادة وحركتها المستقبلية.

وذلك من خلال توظيف الشنفرى للثّنائيات الضّدية، كل هذا في محاولة منه لإيجاد نظام يحكم العالم، والوسيلة التي أوجدها الشّاعر هي «فوضى القبيلة » أو «الديستوبيا».

جاء هذا المقال ليجيب على عديد الإشكاليات أهمّها:

كيف يصبح الخراب أو "الديستوبيا"وسيلة من أجل بناء كل ماهو فاضل؟!

وإلى أيّ مدى ساهمت الثّنائيات الضّدية في تعبير الشّاعر عن رفضه القاطع لواقعه المرير؟

إجابات هذه التّساؤلات، ستكون بين صفحات هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: ديستوبيا، الشعر الجاهلي، الشنفرى، لامية العرب.

1. مقدمـة

الديسوتوبيا حلم راود الإنسان منذ قدم الأزمان، من أجل تحقيق الفضيلة والحصول على العدالة الحرية، السلام والإنسانية وهي مستقبل منشود و ممزوج برؤيا يصعب معها تحقيق كافة شروطها.

ولقد زخر تراثنا العربي القديم بعديد النماذج، إذ أهمها ثورة الصعاليك، والتي وإن بدت فردية في ظاهرها إلا أنها وفي أعماقها طرحت قضية فئة أرادت الوقوف في وجه الديكتاتورية، لتعكس الوجه الآخر الدال بشكل واضح على الشكوى والألم والجوع ومدى تأثير كل ذلك على الإنسان وإنسانيته من جهة، وعلى سمات سلوكية ضدية أهمها: الصبر، الترفع الإباء، الشجاعة، الكرم .. من جهة أخرى.

فالصعاليك مجموعة من الشعراء سعوا للقضاء على الجوع الفقر، الألم، بصورة عصبة تمارس الاتحاد والاحتيال هدفها فرض الوجود والحصول على لقمة العيش.

وكان هؤلاء الصعاليك وبحركة التمرد تلك يبحثون عن المدينة الفاضلة في ديستوبيا مجتمع القمع، الخوف، الرعب والعنصرية والواقع المرير، لذلك سعوا في محاولة منهم لإيجاد (اليوتوبيا) وذلك عن طريق الديستوبيا أو اللايوتوبيا "الأطوباوية".

ولامية الشنفرى قصيدة تمثل عالما مستقلاً خاصا، وأرضية خصبة استوعبت الصراع الأزلي في هذه الحياة والمتمثل في الشر الواقعي أو الديستوبيا وبين الطوباوية أو اليوتوبيا المنشودة في إيمان كبير بأن النصوص الشعرية وبخاصة الجاهلية منها قد أنارت أسئلة وجودية، كان لها الأثر الكثير في إثارة قلق السؤال لجيلهم.

2. الديستوبيا وظيفة التمرد وخلق العالم الجديد.

أنشأ العديد من الفلاسفة والمفكّرين في العالم على مدى أكثر من خمسة وعشرين قرنا من الزّمان آراء فكرية متعدّدة من خلال تقديم أشكال مختلفة أطلق عليها مصطلحات اليوتوبيا والديستوبيا" وكلاهما يقدمان رؤيتين متماسكتين؛ ذلك أن المجتمعات المستقبلية التي يديرها العقل البشري، إما تعود بالإيجاب أو السلب على المجتمع ككل.

ومن هذا المنطلق تأتي ماهية هذين المفهومين أي اليوتوبيا والديستوبيا من اعتبار اليوتوبيا ضد الديستوبيا بمعنى آخر اليوتوبيا التي تعني المدينة الفاضلة والديستوبيا التي تعني المدينة الفاسدة والمكان الخبيث، وأسوأ مدينة والجحيم والواقع المرير وهذا الأخير هو موضوع الدراسة.

1.2.تعريف الديستوبيا :

تبرز الديستوبيا ضد اليوتوبيا، فهي المدينة الفاسدة التي ترزح تحت الفقر والجوع والظلم وعرف المصطلح على أنه: "الديستوبيا أو أدب المدينة الفاسدة أو أدب الواقع المرير، هو مجتمع خيالي مخيف أو غير مرغوب فيه تسوده الفوضى ومن أبرز ملامحه الخراب والقتل والقمع والفقر والمرض وهو يأتي في مقابل أدب اليوتوبيا (Utopia) أي أدب المدينة الفاضلة، واليوتوبيا بمعنى المكان الفاضل الذي ينشر السعادة لسكانه"[1].

أو كما يمكن ترجمته بأدب المدينة الفاسدة أو أدب النهايات، أحد الأنواع الأدبية المندرجة تحت أدب الخيال العلمي؛ "فمصطلح الديستوبيا هو الوجه الآخر لمصطلح اليوتوبيا Utopia وهي كلمة ذات أصل إغريقي تعود إلى الفيلسوف أفلاطون، ولكن ما هو مؤكد وثابت أن الكاتب توماس مور هو أول من استخدم مصطلح يوتوبيا عام 1515م في تسمية روايته المتعلقة بالجزيرة الخيالية. وهنا تجدر الإشارة إلى الارتباط بين مصطلح (Utopia) الإنكليزي، ومصطلحات الإغريقيين القدماء: مصطلح أوتوبوس (Ou-topos) ومعناه اللامكان، ومصطلح (Eu-topos) الذي يعني مكان الخير والفضيلة. وقد ارتبط هذان المصطلحان الإغريقيان بكتاب ‘‘المدينة الفاضلة’’ الذي ألفه الفيلسوف اليوناني أفلاطون، بحيث أصبح الكثيرون يربطون بين مضمون جمهورية أفلاطون وفكرة اليوتوبيا؛ حيث كان يرمز إلى المكان المثالي غير الموجود في الواقع[2]."

وإذا بحثنا عن أصل كلمة الديستوبيا نجد أن جذورها من أصول يونانية وتعني المكان الخبيث أو المكان الفاسد وهو يصور المستقبل بشكل سوداوي حين يعم الفساد جميع الأماكن، ومن ثمة التجرد من النزعة الإنسانية ليصبح الإنسان كالآلة لا يعي شيئا سوى تنفيذ الأوامر، وعليه يمكن القول أن هذا المصطلح متجرد من جميع ملامح الإنسانية.

وقد نشأ الأدب الديستوبي في القرن العشرين تحديدا، أين حلت المدينة الفاسدة (الديستوبيا) كمصطلح قائم بذاته فيه إشارة إلى مدينة فاضلة تعاني خللاً وظيفيا محل المدينة الفاضلة (اليوتوبيا)[3]. واستخدمت كلمة الديستوبيا أول مرة في منتصف القرن الثامن عشر، واستخدمها الفيلسوف الإنجليزي «جون ستيوارت ميل»، في خطاب أمام البرلمان في عام 1868 م ، ولم يتم استخدام الكلمة في وصف الشكل الأدبي للكلمة حتى وقت لاحق في القرن العشرين.

2.2. ملامح الأدب الديستوبي:

تتنوع ملامح الأدب الديستوبي بحسب البيئة وعمق السوداوية والفساد الذي يكون فيها، والصور المظلمة التي تطغى في المجتمع والمؤدية بالتالي إلى أن يفقد فيه الفرد حريته وأمنه وفردانيته وحتى مشاعره.

لذلك فإن أبرز ملامح الأدب الديستوبي تحمل:

3. بنية التضاد وفلسفة الحياة والموت:

يعتمد الفكر البشري بصفة عامة في نشاطه على الثنائية الضدية، أو ما يسمى بالفلسفة الجدلية، فقد تجتمع في النفس البشرية ثنائيات ضدية يمكن عدها كامنة في خبايا النفس الإنسانية.

فالحياة متشبعة، واضحة المعالم في حركاتنا وسكناتنا، والموت غريزة ماثلة أمام أعيننا، والسواد والبياض موجودان جنبا إلى جنب في هذه الحياة فالكون مرتكز على شمولية جدلية ثنائية في صراع مفتوح على ذلك التجاذب الموجود بين قطبي هذه الثنائية.

إن الحديث عن الثنائية الضدية هو حديث عن التوازي الموجود بينهما و نمط السير رغم الاختلاف إلى جانب بعض؛ ففي مكامن النفس البشرية، وخباياها العميقة يلتقي طرفا هذه الثنائية الضدية والتي انشغل بها الفكر الإنساني على طول الأزمنة والعصور، وبدت الحياة صعبة التفسير موحشة بمعزل عن فكرة الأضداد والثنائيات، وقائمة متجذرة في كثير من جوانبها على أضداد وثنائيات.

يُعرِّف المعجم الفلسفي الثنائية بأنها: "الثنائي من الأشياء، ما كان ذا شقين والثنائية هي القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون كثنائية الأضداد وتعاقبها"[4]، وفي النقد العربي القديم يلتقي مصطلح الثنائيات الضدية في بعض جوانبه مع مصطلح الطباق والتضاد والتكافؤ، إذ يماثل مصطلح التكافؤ مصطلح الطباق الذي اختلف فيه، عدا الناقد القاهر الجرجاني الذي تكلم عن أهمية تشكيل الصورة الفنية قائلاً في حديثه عن التمثيل وتأثيره في النفس : "وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق والمغرب، ويجمع بين المشتم والمعرق ... ويريك التئام الأضداد، فتأتيك بالحياة بعد الموت مجموعين والماء والنار مجتمعين"[5]. والجرجاني هنا أدرك أثر الثنائيات الضدية المتشكلة ضمن أنساق ضدية في خلق المعنى في النص.

إذن انطلاقا من فكرة كل شيء في هذا الوجود يحمل معه نقيضه توجه اهتمامنا إلى دراسة الثنائية الضدية في اللامية والمتمثلة في:

أ- ثنائية الوحشة والأنس في بداية الشروع في خلق العالم الديستوبي.

ب- ثنائية الكرامة والذل، ألم الخلع والرغبة في الرحيل و لملمة أثر الألم.

ج- ثنائية الجوع والشبع ،عدم تحقيق العدالة الاجتماعية للشاعر ومضي الشاعر في عالمه الديستوبي.

د- ثنائية جلد الذات والتشبع من أهم مبادئ العالم الديستوبي.

ث- ثنائية الاتساع والضيق، الصحراء التي ساعدت الشاعر في التعبير عن عالمه الديستوبي).

ح- ثنائية القوة والضعف وسوداوية العالم الديستوبي).

ذ- ثنائية العاطفة ضد العقل.

خ- ثنائية البرد والحر، اكتواء ذات الشاعر من خلال تجربته الذاتية والنفسية في سبيل تحقيق عالمه الديستوبي.

أ- ثنائية الوحشة والأنس في بداية الشروع في خلق العالم الديستوبي

الشنفرى من أهم الصعاليك الذين تمردوا عن أقوامهم، وخرجوا عن آدابها العامة هذا الأخير سعى لخلق عالمه وذلك احتجاجا على قساوة عالم البشر واستنكارا لتصرفهم، فالشنفرى لجأ للوحوش كوسيلة لحماية ذاته، يشير **الشنفرى** إلى هذه الثنائية المتمثلة في الوحشة والأنس قائلا في مطلع القصيدة:

أقيموا بني أمي، صدور مطيكم فإني، إلى قوم سواكم لأميل
وفي الأرض منأى، للكريم عن الأذى وفيها، لمن خاف القلي، متعزل
ولي، دونكم، أهلون: سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل
هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم، ولا الجاني بما جزء يحتل[6] .

وظف الشاعر لام التأكيد ليؤكد خروجه النهائي والتام والقطعي من القبيلة وفي ورود لفظة "أميل" بصيغة التفضيل إشارة إلى أنه لم ينفِ ميله عن قومه أو نكرانهم والبيت الشعري يوحي بتقابل الانفصال عن القوم والاتحاد مع العالم الجديد المتمثل في الوحوش الضارية، وتعبر جذور هذه الثنائية عن الشعور المتضاد للشاعر حيال القبيلة والوحوش؛ وقد تخلى **الشنفرى** هنا عن شعور القبيلة ولجأ إلى الوحوش أو العالم الجديد وفي نهاية القصيدة يقول:

تَرودُ الأَراوِيَ الصُحمُ حَولِي كَأَنَّها عَذارى عَلَيهِنَّ المِلاءُ المُذَيَّـــــــــلُ
وَيَركُدنَ بالآصالِ حَــولِي كَأَنَّني مِنَ العُصم أَدفى يَنتَحي الكَيحَ أَعقَلُ[7]

يمضي الشنفرى إلى عالمه الصعب المقفر، ولكنه يأنس به ويفتخر بما أصابه من الأذى في قومه، ثم نجده يعرض لنا حقيقة حياته الديستوبية المتمثلة في الوحدة والعزلة عن الناس، فيلجأ للخيال ليأنس بجماليات الحياة الغائبة في واقعه والمتمثلة في جمال المرأة، فيتخيل الوعول نساء جميلات ارتدين ملاءات ذوات ذيول مدلاة، تترجم اغتراب الشاعر وانكفائه على ذاته.

نستشف من هذه الثنائية الضدية دلالات جديدة تدل على نقد الشاعر لمجتمعه الذي اختلت فيه البنية الاجتماعية وضاعت فيه المعايير الضابطة.

وبداية المطلع الثاني في مطلع القصيدة يحمل صيغ ذات دلالات واضحة هدفها الاغتراب، لقد استخدم الشاعر أفعالاً بصيغة المبني للمجهول، لم يسم فاعلها والمتمثلة في: خمت شنت ... ودلالات هذا الاستخدام هو تركيز الشاعر على الحدث بصرف النظر عن مُحدثه وعلى ذلك الأساس ترتد فاعلية الحدث بالحسم وعدم الرجوع.

ودلالات هذه الثنائية الضدية الوحشة والأنس تحمل أثر ذا وقع كبير دال على امتلاء نفس الشاعر بالفراق والاغتراب لحظة الوعي بالواقع المعاش في القبيلة ومعاييرها المتعسفة، لذلك اختار السفر للمجهول وخلق عالم جديد بمعايير يؤسسها **الشنفرى** أولها تغيير الصحب والقبيلة أو بني البشر بالحيوانات، كون هذا العالم يبعده عن الأذى وينقذه من سلطة القبيلة.

وصف مجتمعه الحيواني الجديد بالأهلون على صيغة جمع المذكر السالم أي هنا أنزلهم منزلة العقلاء، ويصف الوحوش بصفات الشجاعة والإباء .... وكلها صفات افتقدها في قبيلته.

إذن من خلال الثنائية الضدية الوحشة والأنس تخلع خيط رؤيوي يرصد أهم الملامح الديستوبية والمتمثلة في: فوضى القبيلة، المعاناة، عدم وجود ومراعاة القوانين، إضافة إلى محاولة الشاعر اللجوء للآخر والهروب من القبيلة.

ب– ثنائية الكرامة والذل، ألم الخلع والرغبة في الرحيل، ولملمة أثر الألم:

إن الكرامة من أهم مبادئ الشرف، والعرب من أشد الأمم صونا لكرامتهم لا يرضون الذل مهما كان، أما الصعاليك فكانوا يشعرون بالذل نتيجة خلعهم من كيان القبيلة لكن **الشنفرى** يخالف ذلك يقول:

وَفي الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ

لَعَمرُكَ ما في الأَرضِ ضيقٌ عَلى اِمرِئٍ سَرى راغِباً أَو راهِباً وَهوَ يَعقِلُ[8]

"الكريم"، "الأذى"، "القلي" كلمات نصف طموح الشاعر نحو كرامة النفس ورفضها الهوان، فرفض الظلم يقود الشاعر للهجرة وهنا تظهر جدلية الكرامة والذلة في نفسه المفرطة الحساسية.

أنفة الشاعر وكرامة جلية فهو يقوم بالهجر لمجرد الشعور بالذل والهوان ولا ينتظر حتى تقع، يلجأ للطبيعة كمتنفس له، وفي هذا ما يبطل قول أن الصعاليك ليس فيهم الطموح أو الكرامة.

ينشد:

وَإِن مُدَّتِ الأَيدي إِلى الزادِ لَم أَكُن بِأَعجَلِهِم إِذ أَجشَعُ القَومِ أَعجَلُ

وَما ذاكَ إِلاّ بَسطَةٌ عَن تَفَضُّلٍ عَلَيهِم وَكانَ الأَفضَلَ المُتَفَضَّلُ[9]

القوم يتعجلون الطعام، أما الشنفرى فلا يتعجل، إذ أنه أبي ويرى أن عدم عجلته ترجع لسماحته، فالثنائية هنا تبدو بدلالة اسم التفضيل، واللافت للنظر أن الشنفرى ينفي عن نفسه الهوان ويثبتها في الآخرين يقول:

وَلَستُ بِمِهيافٍ يُعَشّي سَوامَهُ مُجَدَّعَةً سُقباهَا وَهيَ بُهَّلُ

وَلا جَبأً أَكهى مُرِبٍّ بِعِرسِهِ يُطالِعُها في شَأنِهِ كَيفَ يَفعَلُ

وَلا خَرِقٍ هَيقٍ كَأَنَّ فُؤادَهُ يَظَلُّ بِهِ المكّاءُ يَعلو وَيَسفِلُ

وَلا خالِفٍ دارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ يَروحُ وَيَغدو داهِناً يَتَكَحَّلُ[10]

وقصده لست باللئيم أنا، بل كريم، إذ صور معاملته النساء بكونها معاملة جيدةن ليس فبذيها تعالٍ او احتقار ، والشاعر هنا يرفض رأي زوجته حديثة العهد بالزواج في الأمور، ليس كي يتهم المرأة بل ليتهم الرجل العاجز على اتخاذ القرار.

وفي أبيات أخرى يقول:

وَلَولا اجتِنابُ الذَأم لَم يُلفَ مَشرَبٌ يُعاشُ بِهِ إِلّا لَدَيَّ وَمَأكَلُ

وَلَكِنَّ نَفساً مُرَّةً لا تُقيمُ بي عَلى الذَأمِ إِلّا رَيثما أَتَحَوَّلُ[11]

البيتان يحملان الهوان والكرامة والعظمة معا، وقد استعمل الشاعر لولا التي تقتضي وجود شرطها وامتناع جوابها لوجوده، والشرط هنا هو اجتناب الذام فهو الذي أرقى همته، ومنعه من ريادة المشارب.

ظروف الشاعر هي من جعلته ذا نفس حرة لا تخضع لأية ذلة أو هوان مهما بلغ منها الجوع والعطش والفقر مبلغه.

إذن من خلال هذه الثنائية نفهم أن رؤية الشنفرى قائمة على الكرامة ورغم التحديات والظروف فهو يرفض المذلة، إذن يكشف لنا عن هذا الإباء مستعينا بما يقابله من الهوان، بالتالي نسبة الجانب الإيجابي لنفسه، والإشارة للجانب السلبي وبيان تخليه عنه.

ج– ثنائية الجوع والشبع عدم تحقيق العدالة الاجتماعية للشاعر ومضي الشاعر في عالمه الديستوبي:

قدم لنا الشنفرى من خلال لاميته العديد من الصور التي تكشف صموده أمام الجوع ونجده يستخدم عديد الدلالات على ذلك مثل أديم، أصيت أضرب، أذهل، أستف، أتحول.

والحقيقة المستورة وراء هذه الصور هي نفسه الحرة الرافضة لتعالي الآخرين عليها، والثنائية هنا ثنائية جوع وشبع فالجوع ظاهر والشبع هو شبع النفس فتحول الجوع عنده من ذل إلى كرامة وافتخار وشبع نفس يقول:

يقول :

وَأَغدو خميصَ البَطنِ لا يَستَفِزُّني إِلى الزاد حِرصٌ أَو فُؤادٌ مُوَكّلُ[12]

هنا أدرك الشاعر ظروفه وأصبح قادرا على الانفصال عن مجتمعه سواء ماديا أو نفسيا، يقول:

أَديمُ مِطالَ الجوعِ حَتّى أُميتَهُ وَأَضرِبُ عَنهُ الذِكرَ صَفحاً فَأَذهَلُ

وَأَستَفُّ تُربَ الأَرضِ كَيلا يَرى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَولِ اِمرُؤ مُتَطَوَّلُ

وَلَولا اجتِنابُ الذَأم لَم يُلفَ مَشرَبٌ يُعاشُ بِهِ إِلّا لَدَيَّ وَمَأكَلُ[13]

وظف الشاعر فعل أديم للدلالة على الحالة الدائمة للجوع، وأصبحت عنده حالة ثابتة، وهو ما يسميه العلماء بالملكة النفسية، وعشور الشاعر على هذه الملكة دليل على طموحه نحوالحسر ونفوره من الشر، يقول:

وَاَطوي عَلى الخُمصِ الحَوايا كَما اِنطَوَت خُيوطَةُ مارِيٍّ تُغارُ وَتُفتَلُ

وَأَغدو عَلى القوتِ الزَهيدِ كَما غَدَا أَزَلُّ تَهاداهُ التَنائِفُ أَطحَلُ[14]

وشبع النفس مندمج في فعل أطوي بحرفه النطعي، وهو مقابل للرخوة التي اعترت الشاعر نتيجة جوعه الشديد.

د– ثنائية جلد الذات والتشبع أهم مبادئ العالم الديستوبي:

تبدو حياة الشنفري وحياة الصعاليك بصفة عامة ، تدريب مستمر للنفس، ونجد هذا في:

أَديمُ مِطالَ الجوعِ حَتّى أُميتَهُ وَأَضرِبُ عَنهُ الذِكرَ صَفحاً فَأَذهَلُ

وَأَستَفُّ تُربَ الأَرضِ كَيلا يَرى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَولِ اِمرُؤ مُتَطَوَّلُ[15]

لا يستسلم الشاعر أمام الغرائز الدائمة، بل يقاوم ويرى أن من يكافح المصائب لابد ان ينتصر عليها، ومهما أحاطت به الكروب وعاديات الزمان فإنَّه يبقى صبورا يقول:

وَإِلفُ هُمومٍ ما تَزالُ تَعودُهُ عِياداً كَحُمّى الرَبعِ أَو هِيَ أَثقَلُ

إِذا وَرَدت أَصدَرتُها ثُمَّ إِنَّها تَثوبُ فَتَأتي مِن تُحَيتٍ وَمِن عَلُ

فَإِنّي لَمَولى الصَبرِ أَجتابُ بَزَّهُ عَلى مِثلِ قَلبِ السِمعِ وَالحَزمَ أَفعَلُ[16]

يظهر الشاعر هنا قادرا على احتمال الشدائد، ويصف نفسه بالصبر مرتديا ثوب القوة والجلد حتى ينأى بنفسه عن الاتصاف بالجزع ، وهكذا استطاع الشنفرى تجاوز الظروف القاسية التي طوقته واستبدت به؛ فكافحها بطابع إيجابي وهو ما يقابل الطابع السلبي المتمثل في الفزع.

إذن يظهر لنا من هذا المطلع أهم ملامح الديستوبيا والمتمثلة في: قساوة الطبيعة التي ينتمي إليها ؛ فهي لا تقل قساوة من مجتمعه الذي فارقه وهذا يعني أن الملتجأ والملاذ الذي اغترب إليه لم يكن سهلا بل كان قاسيا مريرا فهو عالم ديستوبي تمثل في عالم الخوف والشدة والفزع والجوع والعطش، ولكن مع هذه القساوة يجب على الشنفرى أن يرضى لأن هذا العالم الموحش من اختياره وصنع يديه اتخذه بديلا عن مجتمع القبيلة وصحب الشاعر في رحلته هذه الجوع والعطش البرد والحر والخوف، إذ نجده يحتمل المطر ويسير في الظلام جائعًا متألما وهو في ذلك غير مبالٍ.

إذن الظروف القاسية، الألم النفسي والمعنوي، الظلام واللامبالاة، السوداوية، كلها ملامح ديستوبية تم رصدها في هذه الثنائية.

ث– ثنائية الاتساع والضيق الصحراء التي ساعدت الشاعر في التعبير عن عالمه الديستوبي:

الفقر من أهم أسباب هجوم الصعاليك على الأغنياء وثورتهم عليهم، ونجد هذا جليا، يعددها الشنفرى، قائلا:

وَآلَفَ وَجهَ الأَرضِ عِندَ افتِراشِها بِأَهدَأ تُنبيهِ سَناسِنُ قُحَّلُ

وَأَعدِلُ مَنحوضاً كَأَنَّ فُصوصَهُ كِعابٌ دَحاها لاعِبٌ فَهيَ مُثَّلُ[17]

الشاعر صور لنا مشهد شدة هزالته لفقره وكأنه منكمش على نفسه، ثم يصف فصوصه مستعينا بلفظة لحاها، بعد ذلك ينقلنا للشطر الثاني ليخلق لنا فضاء يختلف عن جو الشطر الأول، وهذا الذي يجعلنا نقطع بوجود ثنائية الاتساع والضيق يقول:

وَأُعدِمُ أَحياناً وَأَغنى وَإِنَّما يَنالُ الغِنى ذو البُعَدةِ المتَبَذَّلُ

فَلا جَزِعٌ مِن خَلَّةٍ مُتَكَثِّفٌ وَلا مَرِحٌ تَحتَ الغِنى أَتَخَيَّلُ[18]

تبدو ثنائية الاتساع والضيق أو الغنى والفقر واضحة هنا؛ إذ يصف الشاعر نفسه متذبذبا بين الاتساع والضيق الغنى والفقر بين الحين والآخر وبين لنا الشاعر أنه يسير باعتدال أي لا هذا ولا ذاك، فهو ليس جزوعًا عند الضيق ولا فجورا عند الاتساع.

ح– ثنائية القوة والضعف سوداوية العالم الديستوبي

أما ثنائية الشجاعة والجبن أو القوة والضعف، فتظهر في عشرينية لاميته واضحة، حيث يطعن في شجاعة الآخرين راميا إلى غرض أبعد وهو وصف نفسه بالقوة، ويقع ذلك عن طريق النفي والإثبات يقول:

وَلا جَبأَ أَكهى مُربٍّ بِعِرسِهِ يُطالِعُها في شَأنِهِ كَيفَ يَفعَلُ

وَلا خَرِقٍ هَيقٍ كَأَنَّ فُؤادَهُ يَظَلُّ بِهِ المِكّاءُ يَعلو وَيَسفِلُ

وَلا خالِفٍ دارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ يَروحُ وَيَغدو داهِناً يَتَكَحَّلُ

وَلَستُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دونَ خَيرِهِ أَلَفَّ إِذا ما رُعتَهُ اِهتاجَ أَعزَلُ[19]

وَلَستُ بِمِحيارِ الظَلامِ إِذا اِنتَحَت هُدى الهَوجِلِ العِسّيفِ يَهماءُ هَوجَلُ

فالصفات المتزاحمة في هذه الجزئية، وبروز الأفعال المضارعة بضمير المتكلم، بشكل مكثف، كلها إشارات تجسد حضور الأنا وتمثل صورة السيد الفارس الكريم بإستعلائه وفوقيته.

4- الخاتمة:

أضفت هذه الدراسة للنتائج التالية:

1. للثنائية الضدية فاعلية كبرى في بناء النص الشعري، وقد استطاع الشنفري من خلال لاميته تقديم موقف حول القضايا التي واجهها في حياته من خلال استثارة جدليات متعددة تندرج في إطار جدلية كبرى هي جدلية الحياة والموت.
2. الصور المتضادة التي أوجدها الشنفرى في لاميته صنعت تماثلاً دالاً على وعي الشاعر تجاه فلسفة الحياة.
3. من خلال الثنائيات الضدية قدم لنا **الشنفرى** صور مختلفة للصراع؛ صراعه مع مجتمعه، مع البيئة أو العالم الجديد الديستوبي الذي أوجده، كما سعى إلى إبراز وظيفة الإنسان في ترسيخ قيم مختلفة في الحياة.
4. لجأ الشنفرى للأضداد الثنائية لكي يعيد تشكيل العالم الخاص وفق رؤيته الخاصة.
5. مفهوم الرفض في فكر **الشنفرى** هو القيمة الكبرى لصنع عالم تستطيع فيه الذات أن تخلق سلطتها المضادة وحركتها المستقبلية من خلال توظيف الشنفرى للثنائيات الضدية.

وهكذا يبدو أن **الشنفرى** كان يسعى لإيجاد نظام يحكم العالم، والوسيلة التي أوجدها الشاعر هي فوضى المدينة أو القبيلة كما تسمى في بيئته، فقد لجأ إليها بحثا عن اليوتوبيا التي افتقدها في قبيلته، من خلال الثنائيات الضدية حيث عبر الشاعر عن رفضه القاطع لواقعه المرير وللغة العربية السائدة وتوظيف التضاد في اللامية دليل واضح على الحالة اللامستقرة للشاعر، هذا الأخير الذي لجأ للحرب من أجل بناء كل ما هو فاضل، ووضع لنفسه عدالة افتقدها في قبيلته عدالة حتى ولو كانت في شكل ديستوبيا!!! الشاعر باحث عن الرسوخ.

قائمة المصادر والمراجع

1. فاطمة برجكاني، إضاءات نقدية (مجلة محكمة العدد 29 ربيع 1397، ش، طهران إيران، السنة 8.
2. عصام عبد المنصف، أبو زيد لأمية العرب" دراسة نحوية نصية.
3. صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دت، ج1.
4. الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة قراء وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، ط1، 1991.
5. إميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1999.
6. أدب المدينة الفاسدة انتقال من الأدب الخيالي إلى الواقع الحقيقي، تمت الزيارة 2024/01/15 على الساعة 14.00 متوفر على العنوان https://alarab.co.uk/en/node/158753

الهوامش:

[1] المرجع نفسه، ص82-83.

[1] إميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1999، ص 58.

[1] فاطمة برجكاني، إضاءات نقدية (مجلة محكمة العدد 29 ربيع 1397، ش، طهران ايران، السنة 8، ص136.

[2] أدب المدينة الفاسدة انتقال من الأدب الخيالي إلى الواقع الحقيقي https://alarab.co.uk/en/node/158753

[3] عصام عبد المنصف، أبو زيد لأمية العرب" دراسة نحوية نصية، ص 48.

[4] صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دت، ج1، ص 379.

[5] الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة قراء وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، ط1، 1991 ص2.

[6] إميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1999، ص 58.

[7] إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص58.

[7] المرجع نفسه، ص59-60.

[7] إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص61.

[7] المرجع نفسه، ص62.

[7] إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص61.

[7] المرجع نفسه، ص62.

[7] المرجع نفسه، ص63.

[7] المرجع نفسه، ص62

[7] إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص68.

[7] إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص67.

[7] المرجع نفسه، ص69.

[7] المرجع نفسه، ص62.

[8] إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص58.

[9] المرجع نفسه، ص59-60.

[10] إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص61.

[11] المرجع نفسه، ص62.

[12] إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص61.

[13] المرجع نفسه، ص62.

[14] المرجع نفسه، ص63.

[15] المرجع نفسه، ص62

[16] إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص68.

[17] إميل بديع يعقوب، مرجع سابق، ص67.

[18] المرجع نفسه، ص69.

[19] المرجع نفسه، ص62.